سميأة هوى الحبّ في رواية فتنة الزوّان لإبراهيم الكوني

د. راوية شاوي

جامعة 08 ماي 1945 – قالمة، chaoui.rawia@univ-guelma.dz

تاريخ الإيداع: 2025/02/06 **تاريخ المراجعة:** 2025/02/06 **تاريخ القبول:** 2025/05/12

ملخص

تسعى هذه الدّراسة إلى البحث في سيميائية الأهواء داخل الخطاب الروائي للأديب الليبي إبراهيم الكوني، من أجل الكشف عن هوى الحبّ البارز في رواية "فتنة الزّوان"؛ فموضوع سيميائية الهوى هو الاهتمام بالانفعالات الإنسانية المختلفة، ودراسة العواطف والمشاعر سلبية كانت أم إيجابية؛ بمعنى دراسة الآثار الخطابية لعملية الإحساس. من هذا المنطلق؛ ارتأيت أن أبحث في هوى الحبّ وتمظهراته المعجمية: من مترادفات، ومتضادّات داخل المتن الروائي، ومعرفة أثره على الرّواية، فما المقصود بسيميائية الأهواء؟ وكيف تمظهر هوى الحبّ معجميا في المتن الروائي؟ وما أثره على الرّواية؟

الكلمات المفاتيح: أهواء، حب، كوني، سيميائية أهواء.

The Semiotics of the Passion of Love in Ibrahim al-Koni's Novel Fitnat al-Zuʾān

Abstract

This study seeks to investigate the semiotics of passions in the narrative discourse of the Libyan writer Ibrahim al-Koni, with the aim of uncovering the prominent passion of love in his novel Fitnat al-Zuʾān (The Temptation of Darnel). The field of the semiotics of passions focuses on various human emotions and examines both positive and negative feelings, in order to analyze the discursive effects of emotional experience. Accordingly, this study explores the passion of love and its lexical manifestations—through synonyms, antonyms, and related expressions—within the narrative text, aiming to understand its impact on the novel. This inquiry raises several key questions: What is meant by semiotics of passions? How is the passion of love lexically represented in the narrative? And what is its effect on the overall structure and meaning of the text?

Keywords: Passion, love, Al-Koni, semiotics of passions.

المؤلف المرسل: د. راوية شاوي، chaoui.rawia@univ-guelma.dz

توطئة (مقدّمة):

اهتمت السيميائيات وخاصة فرعها الجديد **سيميائية الأهواء** منذ **غريماس** إلى غاية الدّراسات النّقدية السيميائية المعاصرة بدراسة مجموعة الأحاسيس والمشاعر والانفعالات المرتبطة بالذّات الإنسانية داخل النصوص والخطابات السّردية، وباعتبار الرواية جنسًا أدبيًا مستقلًا بذاته، فإنّها خطاب سردي غني بطاقة هائلة من الأهواء المتكاملة أو المتناقضة؛ لأنّها تستوعب المجتمع بكامله، بكل سلبياته وإيجابياته وتناقضاته.

ونظرا إلى كون الأهواء هُمّشت في الدّراسات النّقدية الكلاسيكية؛ فإنّ سيميائية الأهواء أعادت الاعتبار للمشاعر والأحاسيس، واهتمّت بالذّات الإنسانية وما يعتمل فيها من عواطف وانفعالات سلبية كانت أم إيجابية، وسعت إلى الكشف عن علاقات الاتصال والانفصال في النصوص السردية الأدبية، وقد بدأ هذا التوجّه الناقد Greimas أ. ج **غريماس** رفقة **جاك فونتاني** في كتابهما **سيميائية الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النّفس**، وقد ترجمه إلى اللغة العربية الباحث المغربي **سعيد بنكراد**، وقد مثّل هذا الكتاب فتحا مبينا مكّن من انتشار سيميائية الأهواء كتوجه جديد ضمن مشروع نقدي سيميائي معاصر.

وبما أن الأدب تعبير عن حاجيات الإنسان والنّفس البشرية؛ فإنّه لا يخلو من العواطف والأهواء المختلفة، ومن هذا المنطلق، ارتأينا الخوض في موضوع سيميائية الأهواء في رواية طارقية للكاتب **إبراهيم الكوني**، رواية عكست لنا عديد الأهواء بدءا بالفتنة، مرورا بالحب والعشق، فكانت ثرية ومستفزّة للولوج إلى عالمها ومحاولة سبر أغوارها هوويا، وقد ركّزنا في الجانب التحليلي للرواية هوويا على التّمظهر المعجمي لهوى الحبّ وما يرتبط به من مترادفات ومتضادات، وذلك وفقا للمنهجية والآليات الإجرائية لسيميائية الأهواء كما أسّسها رائداها غريماس وفونتاني. فكيف تجلّت الأهواء في الرواية وخاصة هوى الحبّ؟ وكيف تمظهر معجميا؟

1- لمحة عن رواية فتنة الزّوّان:

يُصنَّف الروائي اللّيبي **إبراهيم الكوني**[1] من أحسن الروائيين أو الأدباء المهتمين بموضوع الصحراء، والمتخيّل الصحراوي، وكلّ ما يمثل الصّحراء من عادات وتقاليد، وأسماء، وأماكن، وأخلاق، وطقس، وحيوانات... وحالات نفسية صارمة وصعبة صعوبة المنطقة، خاصة في خطابه السّردي **فتنة الزوّان** العامر بالأهواء والانفعالات الداخلية لشخوصه. ترسم الرواية حياة أهل الصحراء الواسعة المختلفة عن حياة المدينة ثقافة وسلوكا؛ إذ تحمل دلالات تغوص في عمق الحكايات المقدّسة حول العشق الصّافي النقي، والعاشق الذي سكن قلبه خيالات الصّحراء قبل عشقه المرأة. يبدأ الخطاب السّردي لفتنة الزّوان من خلال المشاهد الأولى لـ"**تيسرّاض**"، تلك الرموز التي احتضنت سرّ قبائل الصحراء، هذه الأخيرة التي حملت في طياتها سحرا خاصّا وعشقًا خالدًا؛ ويجسّد ذلك العشق شخصية العاشق المسكون (بأهل الخفاء) **إيمري** الذي أحبّ امرأةً وعشِقها كما رآها بعين القلب، لا بعيون الآخرين، غير أنّ القدر كتب عليه أن يحترق بنار الشّوق والبعد، وأن يَتوهَ في فضاء الصّحراء منشدا المواويل الحزينة التي ترثي خيانتها له بزواجها من غيره يوم موعد قرانهما، وحتى بعد اقترانهما كان كلٌّ منهما يعاني؛ إذ صار يراها بعيون الناس لا بعيني العاشق، أمّا هي فقد عرفت كذبته حين ادّعى أنه كتب القصيدة، فحصل الفراق بعد القران. وقد ضمّت الرّواية قصص عشقٍ أخرى، كعشق **الخلاسية** لزوجها الزّعيم **بني آوى** الذي قُتِل على يدي **إمتطال**، الأمر الذي دفعها إلى الانتقام منه، غير أنّ الأحداث تمضي بسلسلة من الأسرار والتغيّرات والمفاجآت في إطار حكائي يجمع بين البعدين الغرامي والهووي، إلى أن ينقلب عشقها لـ**إمتطال** من دافع الانتقام إلى حبّ عميق، فتأخذه إلى **واو** لا انتقاما فحسب، بل مدفوعة بشغف حقيقي. وقد استكمل **إبراهيم الكوني** قصة هروب

إيمري من زوجته الحسناء الحولاء في رواية أخرى وهي **بر الخيتعور**؛ حيث ينطلق في رحلة جديدة بحثا عن ولده الضائع. يعدّ العنوان في الدراسات النقدية الأدبية عتبة نصية تُمكِّن القارئَ من ولوج عالم النّصوص الأدبية، وقد وُفِّق الكوني في اختيار عنوان روايته، الذي كشف من خلاله عن عديد الأسرار والخبايا لأهل الصّحراء والخفاء؛ فالفتنة تشير إلى الاختلاف والصراع بين الأشخاص حول مسألة ما، وقد يؤدّي هذا الصراع إلى القتال، وغالبا ما تكون بين كائنين أو شخصيتين؛ كما في فتنة المال، أو الولد، أو الذّهب. وهي عادة ما ترتبط بالفضيحة، والضلال، والعذاب، وإذا ما أسقطنا هذا المفهوم (الفتنة) على نص الرواية فإنّ الفتنة قد تجلّت في شخصية **إيميري** الذي ضلّ الطريق، وتاه في حبه للحسناء الحولاء، ذلك العاشق الأبدي المفتون بها إلى درجة الوجد والجنون، رغم علّتها (الحول)، يقول الراوي في وصف حالته: «**اشتدّ الوميض القاسي في عيني العاشق حتّى ظنّه الكثيرون دموعا فأغمض عينيه وتزلزل بدنه برجفة عنيفة قبل أن يغمغم بكلام لم يفهمه أحد**»[2]؛ إذ من علامات شدّة الوجد والعشق الجنون، والتيه، والذوبان في المحبوب. أمّا **الزّوان** فهو نباتٌ عشبيٌّ من فصيلة النجيليات، ينبت بين سنابل الحنطة ويشبهها في الشّكل، إلا أنّ له تأثيرا قويا يسبّب النّعاس إذا تمّ أكله، ومن ثمّ، فإنّه مرتبط بالفتنة والجنون كذلك، فقد ورد في الخطاب الروائي كالآتي: «**يبدأ سرب الزّوان في التشتّت، ينقلب في الفراغ، يهوي إلى الأسافل مسافة، ثم لا يلبث أن يتراجع ويرتفع إلى الأعالي، يتلوّى يتهيّج بحلول الغسق.(..)**»[3] وكلّ هذه الأفعال تصدر عن شخص غير سويّ، يعتريه اضطراب نفسي، وتتملّكه حالات من الجنون والخبل؛ ففتنة الزوان تمثل بذلك دلالة على الحالة النّفسية الصّعبة التي مرّ بها كل من إيميري وإمتطال تحت وطأة الحبّ والعشق، وما كابداه في سبيل ذلك من معاناة وآلام وصلت حدّ الجنون بل حدّ الفرار من الأهل والأحباب. وعليه؛ فإنّ العنوان جاء ثريّا بالإيحاءات الهووية، والدلالات النفسية المتعلّقة بالشخصيات؛ إذ كشف عن فتنة الحبّ وأثرها على المحبوب وما تخلّفه من حيرةٍ، وَبلَهٍ، وفضائح.

2- المستوى التركيبي للأهواء:

من أبرز الأهواء اللافتة للنظر في الرواية "هوى **الحب** الذي غيّر مجرى الأحداث، وهو **السّر** المتواجد عبر النصوص السّردية المختلفة للكوني؛ على أساس أنّ أهل الصحراء يمتلكون دائما مجموعة أسرار أبدية؛ إذ يمنع الزعيم نقل الأخبار والأسرار عن **تيسرّاض**، ويأمر بعدم ذيوعها؛ حيث «**يُميت الخبر على لسان النذير، ويحرم على العقلاء أن يردّدوه في مخادع قريناتهم، ويمنع المغنيات أن يتغنّين به في أمسيات اللّحون، وينهر الصّغار المعاندين الذين يثرثرون كثيرا، ويأمر لهم بالقصاص. لأنّ الدهاة يعلمون أن طبيعة السر من طبيعة الكنز، وإذا عُرف، ورددده اللسان، بطُل، وفسُد، وناله الدنس**»[4]، وهذا يعني عظم السر عند أهل الصحراء.

وللسر علاقة وطيدة في الخطاب السردي _ فتنة الزوان_ **بالحب**؛ إذ يأسر قلب المحبّين ويدفعهم للبحث عن أسرار النّاموس، وأسرار أهل الخفاء.

2-1- التمظهر المعجمي لهوى الحب:

1- الإنجاز: يعتبر هوى الحبّ عند "غريماس" ضمن مجموعة الأهواء **الانتعاضية (orgasmique)** الحاملة لهوى **(الثقة، الاهتمام، الكراهية، الحذر، الصداقة...)** والقائمة على جهتي «**الواجب والقدرة، وتخص العلاقة الموجودة بين ذاتين وتعمل على تقنينها**»[5].

وبالعودة إلى المستوى المعجمي للفظة هوى **الحب** في المعاجم العربية نجدها في معجم **لسان العرب** كما يلي: **«إنَّ الحُبَّ نَقِيضُ البُغْضِ، الحُبُّ الوِدَادُ وَالمَحَبَّةُ، وأَحَبَّهُ فَهُوَ مُحِبٌّ وَهُوَ مَحْبُوبٌ، عَلَى غَيْرِ قِيَاس هذا الأكثر، وقد قِيلَ مُحِبٌّ عَلى القياس، والحِبَاب بالكسر المحابة والموادّة»**[6].

وقد ورد في **مختار الصحاح** أنّ: **«الحبّ أيضا المحبة وكذا الحِبّ بالكسر والحبّ أيضا للحبيب، ويُقال أحبّه فهو محب، وأحبّه يحبّه يكبر فهو محبوب، وتحبّب إليه وتودّد، وامرأة محبّة لزوجها ومحبّ أيضا والاستحباب كالاستحسان»**[7]. وبالتالي؛ فإنّ لفظة الحبّ معجميا متنوعة دلاليا بين الودّ، والمودة، والمحابّة، وانجذاب ورغبة في القرب...

فالحب نقيض البغض، وهو مرتبط بشخصين أو طرفين تنشأ بينهما علاقة تجاذب فكري أو عاطفي، وهو عند **ابن داود** في كتابه **الزهرة «يتولد بين الحبيبين عن السماع والنظر، ثم تقوى المودة لتصير محبة، ثم تصبح خلة ثم هوى، ثم عشقا»**[8].

إذن، الحبّ هو شعورُ شخصٍ ما بحاجةٍ تكمّله في شخص آخر، وذلك الشعور بالنّقص يحتاج إلى تغطية أو تلبية أو إشباع؛ لذا رأى **جاك فونتاني: «أنّ الإحساس بالوجود السّيميائي لا يكون إلا سلبيا: فهو إحساس بعدم الكمال، وبخيبة الأمل، إحساس بالنقص أو بالتظاهر»**[9].

ومن هنا، أمكننا تبسيط **الحب** كالآتي: هو **شعور يتولد بين طرفين** من خلال الحواس (الرؤية، السماع) **لحاجة ماسة** (تكملة النقص) **أسرتهما وجذبتهما** إلى بعضهما، ويمكن التمثيل له كالآتي:

شعور.....يرجع إلى المدونة الهووية

يتولد بين طرفين.....نمط الترابط (صيغة الصلة).

لتكملة النقص وحاجة ماسة جذبتهم.....موضوع القيمة من نوع"مرغوب فيه" وهو محدد من خلال الرغبة.

وفي الخطاب السردي _ فتنة الزؤان _ يفتتن **إيمري بالحسناء** الحولاء قبل أن يراها،؛ إذ نما عشقه لها من خلال الوصف الجميل الذي قدّمه صديقه **تاملي**، ولهذا قيل: **والأذن تعشق قبل العين أحيانا**؛ حيث لفت **تاملي** انتباهه إليها عندما **«أقبلت في الميعاد، ثم قال له إن لها بسمة جذابة لم يرَهَا على شفتي فتاة في الصحراء كلها، ولها صوت لم تسمع الصحراء له مثيلا (...) وفي صدر هذه الحسناء (نعم، مازال يذكر أنّ تاملي نعتها بالحسناء في ذلك اليوم) يرقد سرّ قلّما عرفته صدور الحسان»**[10]، فالوصف الجيد أسال لعاب وشوق **تاملي** لرؤية هذه **الحسناء** التي يُعيِّرها الجميع بالبلاهة والحوَل، إلا أنه لم يرَ**«في عينها حولا، ولم يجد في عقلها خبلا حتى يستطيع أن يحكم بأنها بلهاء»**[11].

ومن بين المكوّنات التي تسهم في تركيبة هوى **الحب** نجد هوى **الخوف**؛ إذ تخاف **الذات1** (تاملي) من التقرب إلى **الذّات2** (الحسناء) والظفر بنظرة أو همسة منها **(موضوع القيمة)**؛ وذلك خشية أن تدرك هذه الحسناء سرّه، فتنأى عنه، أو تمتنع عن مبادلته المحبّة والتودّد؛ إذ فاجأته ذات ليلة عندما استقبلته خارج الخفاء لمَا تعرِف عنه من أسرار؛ من أنهم _أهل الصحراء _ حاربوه كثيرا فيما مضى، وأنه رمى جلالة الزعيم برغيف الخبز، وأنه رمى الحسناء من حجره لأن **وينسيديس** (أهل الخفاء) أرادوا به شرا فحوّلوا المسكينةَ أفعى[12].

فـ**الذات1** تعرف أن أسرارها الثلاثة تسبب له البعد عن الحسناء **(موضوع القيمة)**، وبالتالي عدم إشباع **الرغبة**، ولهذا عندما عرفت أسراره صدم «**وغاصت المدية مسافة أبعد، فاشتدّ النزيف ولفظ مع الأنفاس نارا...**»[13] فلاذ بالفرار في فضاء الصحراء الواسع يلتقي الرعاة والشيوخ والزعماء في القبائل البعيدة.

كما أنّ انتظار الذات1 لموضوع القيمة، وهو مصيّغ **بالقدرة والرغبة** على عدم الابتعاد عنها قبل تحقيق غرضه (اللقاء أو القران)؛ حيث لم ينس حبها وعشقه لها بعد أمد طويل «**بعث لها برسول فجاء بجواب يليق بحسناء من سلالة النبلاء" لا تبارك السماء امرأة حتى تجد الطريق إلى خباء القرين**"»[14] ففهم مرامها وأعلن موعد قرانهما ليصبح موضوع القيمة (القران) قريبا من الذات:

ذ1 U م ⟵ ذ1 n م.

إلا أنّ السّرد يتتابع فتكون المفاجأة بأن تقرر **الذات2** (الحسناء) الانفصال عن **الذات1** (إيمري) والاقتران بشخص آخر لتتحول من حالة الاتصال إلى حالة الانفصال من جديد

ذ1n م ⟵ ذ1U م.

وقد قرّرت الحسناء «**أن تقترن بآخر أخبره الخلان (...) في نفس اليوم الذي حدّده موعدا لرسم مراسم الزفاف**»[15]، وبهذا أصبح تحقيق الغرض، أي الوصول إلى المحبوبة أمرا عصيا بل مستحيلا؛ إذ أحرقه فعلها بنار العار والفراق حين رفضته وارتبطت بغيره، ففضّل الهجران، واختار مواجهة الموت على احتمال البقاء دون الوصال، وهو ما يكشف التحوّل العاطفي العنيف الذي يتأرجح بين الحبّ والخذلان.

ويمكن أن نشخّص هوى **الحب** تركيبيا كالآتي:

المحب ⟵ الحب ⟵ المحبوب

ذ1 م.ق ذ2

إيمري القران الحسناء

يشير **محمد الداهي** إلى «**أن الإنسان لما يجد نفسه أمام شيء خارجي تنتابه مشاعر من الهووين الأصليين، إما يتعاطف معه فينجذب إليه وإما يمقته (البغض)**»[16]، غير أننا لا نلحظ أثرا **للبغض** في علاقة إيمري بالحسناء، وظلّ أسيرا لهواها، ويتسلّل البغض إلى العلاقة تحديدا بعد أن تجدّد الحب بينهما، وتنجب له وليدا، فتتكشف الحقيقة، وتعرف سره، وأنّه كذب عليها بأن انتحل القصيدة المشهورة، فتبدأ في النحيب والبكاء، وهو ينظر إليها من زاوية مختلفة، فيراها في أبشع صورها لأنها مسكونة بأهل الخفاء، وهكذا يحدث الانفصال مجدّدا في تكرار لدورة العشق والخديعة، وتكون النتيجة الانفصال بعد الاتصال.

في حين نجد هوى **الحب** وهوى **البغض** في علاقة الحسناء **الخلاسية بإمتطال**؛ إذ جاءت من بعيد في موكب بهيج، فعشق كلٌّ منهما الآخر، واقترنا، وماتا ليلة الاقتران «**قاوم البطل كما قاوم الغزاة وأعداء القبيلة، لكن المطاردة لم تستمر طويلا، لأنّ الجنية الخلاسية لجأت إلى السحر(...) قيل إنها اختلت به ليلة كاملة في خبائه، وفي الصباح خرج البطل ليأمر بالإعداد للقران**»[17]، ليكون التحول: ذ1 U م ⟵ ذ1 n م.

إلّا أن هوى **البغض** يسيطر على **الحب**، فتقتل **الخلاسية** قرينها بالسم انتقاما لمبارزته وقتله زوجها السابق زعيم بني آوى؛ وبهذا ينشطر المعنى العاطفي بين الحب والبغض، فيظهر هوى **الحب** للذات الخلاسية في: (عشقها الحقيقي لزوجها ولإمتطال، القران، التحدي)، ويتجلى **البغض** في (الانتقام، القتل، السفر، الموت)، فتنشطر الذات إلى ذاتين:

– **ذات محبة:** تظهر في مظهر إنساني، وجميل، تتقن الغناء، تصيب الرجال بالدوار، ينزّ لسانها بشهد النحل، مكابرة، متباهية بنفسها، إذ قدّمت لزعيم القبيلة بعد أسبوعين من قدومها صرّة من التبر (علامة شر)، ثم أهدته عبدا قويا وجارية.

– **ذات منتقمة:** طغت عليها أهواؤها العدوانية، فتقتل قرينها انتقاما لقتله زوجها السابق على الرغم من حبها الحقيقي له (إمتطال).

إذن، يظهر الحب في الخطاب الروائي– فتنة الزوان– وقد أخذ إحدى المتغيرات الاستهوائية الآتية:

1- ذ 1 / م ذ2 (متغيرة الحب).

2- ذ1 / ذ2 (متغيرة التوتر) وذلك بحدوث أزمات أو عوائق استهوائية تؤثر سلبًا على العلاقة بين الذاتين مثل ما حدث لعلاقة الخلاسية بإمتطال، فكان الانتقام أو الموت هو الفاصل بين لقائهما الحقيقي.

3- ذ3 / ذ1(متغيرة الخيانة) إذ تتظاهر الذات 2 بحب الذات 1، ولكنها تفضل الذات 3 في العلاقة، حين تزوجت الحسناء من شخص غير إيمري، وحين فضّلت الخلاسية الموت على القران، ويمكن التمثيل له كالآتي:

ذ1 ⟵ ذ2 ⟵ ذ3.

إيمري	الحسناء	الرجل الآخر الذي اقترنت به.
إمتطال	الخلاسية	الموت/ السم.

2- الأهلية الهووية:

يرى **غريماس وفونتاني** أنّ الهوى يمكن اعتباره أهلية «**إنّه يمثُل باعتباره المعادل للإرادة، إرادة في الكينونة، أو إرادة في الفعل**»[18]، وهذه الإرادة لا تشترط بتحقّق الإنجاز الفعلي، وإنّما تتجاوزه إلى ما هو أعمق؛ الرغبة المستمرة في السعي والتحقّق، فإيميري يعشق الحسناء الحولاء رغم الحول والبله، ورغم أنّها فضّلت آخر عليه قرينا، ومع ذلك فإنّ إرادته العاطفية في طلب العشق بقيت متحكّمة فيه، إلى حدّ استدعى العجوز أن يقيّده لفترة طويلة حتّى لا يحاول لقاء المعشوقة سرّا.

كما قد تتّخذ الأهلية الهووية شكل صورة أو هدف لدى الذّات «**مؤسّسة بذلك غاية الموضوع لذاته، وتقصّي نسق القيم المهيمنة**»[19]، فما يريده إيميري العاشق ليس العشق في حدّ ذاته، وليس القران من الحسناء، وإنّما تلك الصورة الموجودة في خياله / حلمه بأنّه يعشق الحسناء، والدليل على ذلك عندما تفطّن في نهاية الأمر «**إيميري ماذا فعلت إيميري؟ كيف أحببت امرأة لا لا ينبغي أن تحبّها؟ كيف أحببت امرأة لا تحبّها...**»[20].

3- المترادفات الهووية:

من المترادفات القريبة معجميا ودلاليا للفظة هوى **الحب** نجد ملفوظات متعددة أجملها **ابن داود** في تعريفه السابق للحب في: **المودة** و**المحبة**، **الخلة** و**الهوى**، و**العشق**.

ويمكن الانطلاق لدراسة المترادفات وفق المدونة الهووية – **فتنة الزوان**– من هوى **العشق** الأكثر تواترا وتواردا.

3-1- هوى العشق: في أعلى درجات الحب يأتي **العشق** ليسيطر على صاحبه تمام السيطرة إذ لا يرى غيره ولا يسمع سواه، ومن الناحية المعجمية فهو كما:

ورد في **معجم الوسيط** أن العشق «**عشق عشقا ومعشقا أحبه أشدّ الحب، فهو عاشق وهي عاشقة وبالشيء لصق به ولزمه**»[21]، بمعنى أن صفة العشق تلصق بصاحبها وتلازمه طوال حياته، وهو عند ابن منظور: «**فرط**

الحب، وقيل هو عجب المحب بالمحبوب يكون في عفاف الحب ودعارته، عشقه يعشقه عشقا وتعشقه، وقيل العشق تكلف العشق»[22]. وبهذا فإن العشق شدة تعلق المحب بالمحبوب إلى درجة عالية تجعله مقدسا ومرغوبا فيه بإلحاح.

وبالتالي، أن يكون المرء عاشقا معناه أن تكون له رغبة غير محدودة في الحبّ أو امتلاك المحبوب، كما أنّ **الهيام**، و**الوجد**، و**الود** هي المترادفات الأساسية له، وينتمي هذا النوع من المترادفات إلى الموضوعات ذات الطبيعة **المعرفية:** فالمرأة هي للهيام والوجد وكذلك الرجل، والمعرفة مرتبطة بالفضول، فضول العاشق لمعرفة سر عشقه للمحبوبة أو سر المحبوبة ذاتها «**سعى إليها، جالسها، جالسها بعد ذلك كثيرا، ورافقها إلى مضارب قبيلتها في الأودية المجاورة، رأى في العين سرّا ولم يرَ حوَلًا (...) يكفي أن تأتي البطولة (كأن تتأتى لنا الشجاعة في أن نحي أو نضحّي أكثر فنعشق)...»**[23].

إنّ العاشق قابل لتخزين عشقه من أجل التقرّب من المعشوق؛ إذ يرى **غريماس** أنّ الموضوعات القابلة للتخزين يمكن شرحها بأنها«**نماذج عديدة لقدرة الكينونة على الاتصال مع ذات واحدة»**[24]. كما أنّ العشق من الأهواء البين– ذاتية القائمة بين شخصين؛ إذ ينتظم في المدونة الهووية فتنة الزوّان كالآتي: بين إيميري والحسناء الحولاء، وبين إمتطال والحسناء الخلاسية، وبذلك يرتهن العشق إلى التبادل التواصلي بين ذاتين بمعزل عن استثمار أي موضوع من مواضيع العالم الطبيعي.

ويتجلى أيضا على المستوى التوتري في شكل إيقاعي؛ إذ يظهر الإيقاع في شكل انفتاح تتجلى فيه ظلال القيمة من خلال الائتمان على هيئة معايير قيمية تعدّ أخلاقية (axiologique) ثرية؛ حيث تاه إيميري لأنه «**لم يجرّب هذا السبيل قبل اليوم، تاه لأنه لم يعشق قبل اليوم، تاه لأنه لا يعرف ماذا يجب أن يجري على لسان العاشق عندما يتبلبل البال ويريد أن يطلب من المعشوقة أن تصير قرينة (...) تكلّمَتْ عن القبلي أوّلا (...) أدهشه كيف نسي أنّ الطّقس هو ما يستنجد به العقلاء عندما يعجزهم المنطق ولا يجدون مفتاحا إلى كنز الكلام»**[25].

يفسح الانفتاح على المستوى التوتري السبيل لظهور جهة إرادة الكينونة على المستوى السيميو سردي، الذي يوجّه أفعال الذوات العاشقة، ويلقي تأويله الخطابي في صور: **الرغبة، والأمل**[26]. وتتقاطع مع الانفتاح رغبة **الشغف** التي تدفع بالصيرورة نحو الأمام وذلك بعلاقة جاذبة تكون محطّةً للتعارف «**فها هي تتجاوز في كلّ جسارتها كلّ حد فتحذّره بلغةٍ واضحة من سلطانهم...»**[27].

تنجذب ذوات العشق إلى بعضها مدفوعة بهاجس معرفي أو امتلاكي (القران)، تجلّيه صور: **الاستطلاع، السر، الخيانة، الكذب، القتل** المبثوث عبر جسد الخطاب السردي – فتنة الزوّان – وهذا ما يوضّحه قول الغريب لزعيم القبيلة بعد قتل الخلاسية للقرين ونفسها: «**إذا أحبّت امرأة عندنا رجلا أخذته (...) يقال عندنا: إذا أحبّتك امرأة فاحترس! لأنّ المرأة لابد أن تنالك إذا أحبّتك، وهذا ما يجعل رجالنا يهاجرون كثيرا، نعم، الرّجُل عندنا لا يهاجر إلا هربا من امرأة عاشقة (...) آه، أنتم لا تعرفون لا تعرفون العشق، أنتم لا تعرفون ما معنى أن تكون الحسناء قدر الرجل، إذا أحبّت المرأة عندنا رجلا سارت وراءه، ودبّرت الأشراك لاستدراجه، فإن استجاب لها تناول السّمّ من يدها ليلة القران...»**[28] ويمكن تمثيلها كالآتي:

ذ1م ⟵ ذ1 n م ⟵ ذ1 U م

4- المتضادات الهووية:

من أكثر المتضادات الهووية لهوى الحب هوى: **الكره** إلا أننا لا نجده في الخطاب السردي لفتنة الزؤان، إنما نجد أهواء أخرى على رأسها: **اليأس**، و**الانتقام**.

– **اليأس:** من الأهواء السّلبية التي تنهض على خلفية الحرمان من القيم التي تحملها الذات للموضوع؛ إذ تنجرّ عن الحرمان **خيبة**، و**إحباط**، و**انكسار**، وينشا **اليأس** خطابيا من اتّحاد عالمين متعارضين؛ فبين معرفة الحرمان نفسه يحمل اليأس هووين جهتين مستقلّتين عن بعضهما الأولى **الإحباط والخيبة**، والثانية **الانتظار**.

تتجاذب اليأس قوى تتراوح بين **الواجب**، و**الإرادة**، و**القدرة**، و**المعرفة**، وتبقى **الإرادة** الجهة البارزة بوصف اليأس هوًى ناتج عن **الرغبة**، إذ ييأس من علاقته بالحسناء ويحاول الانتحار، ويتجلى ذلك في قوله «**ماذا فعلت يا إيمري؟ كيف أحببت امراة لا ينبغي أن تحبها؟ كيف أحببت امراة لا تحبها؟ هل سبق في الصحراء أن روى الرواة أنّ رجلًا أحبّ امرأة لا يحبها؟ نعم أنت لم تحب الحسناء أبدا يا إيمري...**»[29].

إلّا أنّ اليأس سرعان ما يتلاشى لتحلّ محلّه المودّة والألفة، فيعود إيمري إلى الحسناء بطلبٍ منها عندما عرفت أنّه مسكون حين قال القصيدة، ليضمحل اليأس ويتحقّق الاتصال (اللحام) وينتج عنه طفلا (ذرية)، ثم سرعان ما تتلاشى هذه المودة / القران ليعود اليأس من جديد إلى حياتهما، لأنها دائما تُسمعه «**المسكون لا ينفع قرينا للمسكون (...) تسمعه العبارة كلما استاءت، تسمعه العبارة كلما استبدت بها السويداء واستعدت للخصومة**»[30].

5- بناء النموذج:

أ- النسق المصغّر: وهو كما عرّفه صاحبا كتاب سيميائيات الأهواء أنّه الذي يهتم في المقام الأوّل بالتسلسلات الكيفية الخاصة بالأزمة الهووية، ويخضع لمنطق من طبيعة باتيمية، فالانفعالات في الأصل حاجة إنسانية طبيعية، تتحوّل إلى حالة غير طبيعية عندما تتجاوز الحدود[31].

المقطع المصغّر مفترض في علاقته بالسّوابق وباللّواحق، ويطلق عليه **غريماس** المكوّن الهووي المدروس في حدود اشتماله على التحوّل الانفعالي المخصوص الذي تم التعرف عليه باعتباره: أزمة هووية، فلا يركّز على الفاعل الاستهوائي، بل يركّز على الهوى المسيطر على الذّات، وذلك من خلال ملاحقة أحداث الخطاب السردي بتسلسل تدريجي ومنطقي، والاهتمام بالحالة النّفسية وتغيّراتها.

يتجلى ذلك في الخطاب الروائي – فتنة الزّؤان – من خلال المسار الحياتي للبطل إيميري المتنقّل هوويا من حالة الإعجاب، إلى العشق، إلى الهروب من آلام الخيانة بالفرار والعيش في فضاءات الصّحراء القاسية، لكنّه لا يستطيع الفرار للأبد؛ إذ ينتشله القدر من حالة الضّياع واليأس إلى حالة الفرح وعقد القران بالمحبوبة، ويمكن التّمثيل له كالآتي:

الإعجاب ← العشق ← اللقاء ← الخيانة ← الهرب ← اليأس

العشق ← القران ← الكراهية ← الهرب.

وبهذا تبقى سلسلة الأهواء متتالية في حياة إيميري؛ إذ تطغى عليه مجموعة مختلفة منها إلى حدّ التناقض. وكما رأينا في التعريف السابق فإنّ المقطع الصغير يهتمّ في المقام الأول بالتسلسلات الكيفية الخاصّة بالأزمة الهووية، وتعطي تداخلاتهما النتيجة الآتية:

الإعجاب والعشق الكراهية	←	اللقاء	هرب يأس انفعال محاولة الانتحار	والخيانة	← الحب

ب- المقطع الكبير:

وهو «**شكل من أشكال العدّة الباتيمية (...) يتبنى (...) تسلسل مقطع سجالي**»[32]؛ بمعنى أنّه عبارة عن منظومة انفعالية متكوّنة من مجموعة من المراحل الهووية، ويمكن التمثيل لها في المدونة الهووية بـ:

الإعجاب	←	العشق	← التودّد	← الثقة	صدمة الحب	(نقاء العلاقة)
					فرار يأس	الابتعاد الانتحار أو الموت التقويم الأخلاقي

جـ- التكيّيف المزدوج:

وهو عبارة عن نمطين تكيفيين مختلفين للذات، إذ يمكن أن تصبو الذات إلى موضوعات مرغوب فيها (العشق، القران)، كما يمكن أن تصبو إلى موضوعات مرغوب عنها (الموت، الانتحار)، وتتدخل الإرادة في ذلك باعتبارها تكييفا لموضوع القيمة من جهة، وباعتبارها تكييفا للاتصال من جهة ثانية.

وقد تصنّفت الموضوعات باعتبارها مرغوبا فيها "الحسناء"/ "القران" ضمن النّسق القيمي الجماعي، والاتصال بهذه الموضوعات ذاتها يعتبر مرغوب عنه من قِبل الذّات الفردية (الهرب ومحاولة الانتحار)، وبالتالي، فالذات لها حرية الاختيار، وهي من مهام التكييف المزدوج، فالأثر الهووي ليس حصيلة التكييف الخاص بشكل مباشر للذات الهووية فقط، بل ناتج عن صراعهما؛ إذ لإيميري حرية الاختيار في (جهنم الأشياء/ الأهواء) بين عشقه للحسناء الحولاء وتقرّبه منها، أو الهرب إلى الصحراء ومحاولة الموت بالانتحار، حين فضّل الموت على عدم الثقة به وتفضيل قرين آخر عليه.

خاتمـــــة:

استطاعت سيميائية الأهواء أن تغوص داخل النفس البشرية وأن تستجلي بواطن الشخصيات الأدبية، وأن تكشف ما يعتمرها من حالات نفسية وهووية وانفعالات وعواطف متباينة؛ وبذلك هدفت سيميائية الأهواء إلى إعادة بناء الأهواء سيميائيا لإثبات مدى استقلالية البعد العاطفي الانفعالي داخل النظرية السيميائية ومقاربة الحالات النفسية بعدّة مفاهيمية جديدة.

_ إنّ لسيميائيات الأهواء بما تملكه من الآليات الإجرائية والمفاهيمية، تتطلّب باحثا متمرسا قادرا على تفكيك الرموز وفهم السياقات الهووية في النص الأدبي، ويتطلّب أيضا معرفة دقيقة بمنهجية البحث في سيميائية الأهواء كما أقرّها غريماس وفونتاني؛ إذ للوصول إلى حقيقة الأهواء داخل الخطابات الأدبية وجب معرفة تلك المنهجية واتّباعها، والتي في مجملها لا تختلف كثيرا عن ما جاء به غريماس في السيميائيات السردية.

– كشف لنا التمظهر المعجمي في الرواية عن هوى الحبّ وما يرادفه من هوى العشق وما يتضادّ معه من هوى اليأس الذي أدّى بشخصية إيميري إلى نهاية مأساوية/ الانتحار، حين خنق نفسه بطرف لثامه ليضع حدّا لمعاناته وعشقه.

– كشفت سيميائيات الأهواء من خلال هوى الحبّ المسيطر على الرواية، أثر الحبّ وما ينتج عنه من سلبيات وإيجابيات من شأنها التّأثير على سير الأحداث، وتغيير العواطف الإنسانية؛ فقد تحوّلت المحبّة إلى بغض، والوصال إلى فراق كما رأينا مع شخصية **إيميري**.

الإحالات والهوامش:

1- الكوني كاتب طارقي (من الطوارق) ليبي، وُلد بغدامس سنة 1948م، زاول تعليمه الابتدائي بها، والإعدادي بسبها، والثانوي بموسكو، انتقل إلى روسيا وتحصّل على شهادتي الليسانس والماجستير في العلوم الأدبية والنّقدية من معهد غوركي للأدب سنة 1977م، يتقن حوالي تسع لغات أجنبية، وألّف ما يزيد عن سبعين كتابا، وله العديد من الأعمال الروائية التي قامت على عدد من العناصر المحدّدة خاصّة عالم الصّحراء بما فيه من قوّة وقسوة وانفتاح على جوهر الكون والوجود.

2- إبراهيم الكوني: 1995، فتنة الزؤان، الرواية الأولى من ثنائية خضراء الدمن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، ص 74.

3- م ن، ص139.

4- م ن، ص 8–9.

5- محمد الداهي، 2009، سيميائية السرد بحث في الوجود السيميائي المتجانس، رؤية للنّشر والتّوزيع، ط1، القاهرة، ص 82.

6- ابن منظور، (لا ت)، لسان العرب، دار الجيل ودار العرب، بيروت، م 1، ص 544.

7- محمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن الرازي: 2008، مختار الصحاح، باب الباء، فصل الجيم إلى الخاء، المطبعة الكلية، ط1، مصر، ص 12.

8- محمد غنيمي هلال: 1976، الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية، دار نهضة مصر للطبع والنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، ص198.

9- جاك فونتاني، 2003، سيميائية المرئي، ت: علي أسعد، دار الحوار، ط1، سوريا، ص 31.

10- الرواية: ص 12

11- الرواية: ص 11.

12- الرواية: ص 22.

13- الرواية: ص 22.

14- الرواية: ص 56.

15- الرواية: ص 58.

16- محمد الداهي: سيميائية السرد، مرجع سابق، ص 188.

17- الرواية: ص 27.

18- غريماس وجاك فونتاني، 2010، سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، تر: سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديدة المتّحدة، ط 1، الرّباط، المغرب، ص 163.

19- م ن، ص 164.

20- الرواية: ص 83–84.

21- أحمد حسن الزيات وآخرون، (لا ت)، معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار العودة للنشر والتوزيع، مصر، ص 603.

22- ابن منظور: لسان العرب، ج 3، باب العين، مرجع سابق، ص 251.

23- الرواية: ص 14.

24- غريماس وجاك فونتاني: سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، مرجع سابق، ص 167.

25- الرواية: ص 19– 20.

26- دليلة زغودي: 2014، سيميائية الجسد في ثلاثية أحلام مستغانمي، مخطوطة أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في النقد المعاصر، جامعة تلمسان، الجزائر، ص 46.

27- الرواية: ص 19–20.

28- الرواية: ص 51.

29- الرواية: ص 83–84.

30- الرواية: ص 135.

31- ينظر: غريماس وجاك فونتاني، سيميائيات الأهواء، مرجع سابق، ص 314–315.

32- م ن، ص 314.

– قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن منظور، (لا ت)، لسان العرب، دار الجيل ودار العرب، بيروت، م 1.

2- إبراهيم الكوني، 1995، فتنة الزؤان، الرواية الأولى من ثنائية خضراء الدمن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، عمّان، الأردن.

3- أحمد حسن الزيات وآخران، (لا ت)، معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار العودة للنشر والتوزيع، مصر.

4- جاك فونتاني، 2003، سيميائية المرئي، ت: علي أسعد، دار الحوار، ط1، سوريا.

5- دليلة زغودي: 2014، سيميائية الجسد في ثلاثية أحلام مستغانمي، مخطوطة أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في النقد المعاصر، جامعة تلمسان، الجزائر.

6- محمد الداهي، 2009، سيميائية السرد بحث في الوجود السيميائي المتجانس، رؤية للنّشر والتّوزيع، ط 1، القاهرة.

7- محمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن الرازي، 2008، مختار الصحاح، باب الباء، فصل الجيم إلى الخاء، المطبعة الكلية، ط1، مصر.

8- محمد غنيمي هلال، 1976، الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية، دار نهظة مصر للطبع والنشر والتوزيع، ط2، القاهرة.

9- غريماس وجاك فونتاني، 2010، سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، تر: سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديدة المتّحدة، ط1، الرّباط، المغرب.